

## تصفية الثورة بالعنف في اطار دستوري

العنوان الاصلى للمقال : حل العقدة فى متناول يدنا. (مقتطف)

لينين، الاعمال الكاملة، المجلد التاسع، ص ص ٤٤٧ - ٤٥٤، دار التقدم،  
موسكو، ١٩٧٢

ترجمة: سعيد العليمي

لقد تلت وعود الدستور افضع واقبح اعمال العنف وحشية، وبدا انها صممت خصيصا بقصد ان تعطى الشعب بعد موضوعا صارخا عن المغزى الحقيقى لسلطة الاوتوقراطية الفعلية. ان التناقض بين الوعود والكلمات وقصاصات الاوراق، من ناحية، وحقائق الواقع من ناحية اخرى قد بدت اكثر اتضاحا بما لاحد له. لقد بدأت الاحداث تزودنا بتاكيد صارخ عن حقيقة اعلانها منذ زمن طويل لقراءنا، وسوف نكررها المرة بعد الاخرى، اى، الى ان يطاح بالسلطة الفعلية للقيصرية، فان كل تنازلاتها، حتى ان بلغت جمعية تأسيسية، هى سراب، و وهم، و تنتف من الخداع.

وقد جعل عمال بطرسبورج الثوريون هذا الامر واضحا تماما فى واحدة من نشراتهم اليومية {٣} التى لم تصلنا بعد، ولكن وردت الاشارة اليها المرة بعد المرة فى الصحافة الاجنبية، التى صعقتها وأخافتها سطوة البروليتاريا. كتبت لجنة الاضراب "لقد منحنا حرية الاجتماع (اننا نترجم من الانجليزية الى الروسية {مرة اخرى - المترجم} من هنا يتأتى بعض من عدم الدقة التى لايمكن تجنبها فى الصياغة)" ولكن اجتماعاتنا يحاصرها الجنود. وقد منحنا حرية الصحافة، لكن الرقابة متواصلة. لقد وعدونا بحرية التعليم، ولكن الجامعة تحتلها قوات الجيش. لقد وعدونا بحرمة الاشخاص، ولكن السجون تكتظ بالمعتقلين. لقد منحونا وبتى (الوزير

الدبلوماسي – المترجم)، ولكن لا يزال ترييوف (الشرطي القمعي – المترجم) موجودا. لقد منحونا دستورا، لكن الاوتوقراطية لازالت قائمة. لقد منحنا كل شيء ولكن ليس لدينا اى شيء.

لقد علق ترييوف ”بيان” القيصر. ووقف ترييوف الدستور. والمغزى الحقيقى للحريات قد اوضحه نفس الترييوف. كما وأد العفو الشامل بواسطة ترييوف.

ولكن من هو ترييوف هذا؟ هل هو شخصية فذة، وتمثل ازاحته دلالة خاصة؟ لاشئ من هذا القبيل. انه احد اكثر رجال الشرطة عادية، الذى يقوم بالعمل اليومى للقيصرية، وتحت أمره العسكريون والشرطة.

ولكن لم تصادف ان هذا الشرطى وهو غاية فى العادية بعمله ”الروتينى” قد اكتسب فجأة مثل هذه الاهمية الاستثنائية. حدث هذا بسبب ان الثورة قد حققت تقدما عظيما، وجعلت الحل اقرب. ان الشعب الذى تقوده البروليتاريا يصبح اشد نضجا من الناحية السياسية كل يوم، لا، بل كل ساعة، او، ان شئت ليس بالعام وانما بالاسبوع. بينما كان ترييوف بالنسبة لشعب نائم سياسيا مجرد شرطى غاية فى العادية، الا انه بالنسبة لشعب وعابا بالنسبة له قوة سياسية، اصبح لا يَحتمل، لانه يشخصن كل وحشية، واجرامية وبلادة القيصرية.

الثورة تعلم. انها تزود كل طبقات الشعب وكل قوميات روسيا بدرس ممتاز حول طبيعة الدستور.

الثورة تعلم حين تضع فى الصدارة المهام السياسية الملحة المباشرة، فى اشد اشكالها وضوحا وضغطا، فهى تدفع هذه الجماهير الى ان تدرك هذه المهام، وتجعل جماع وجود الشعب مستحيلا، بدون انجاز هذه المهام، انها تعرى تفاهة كل مظاهر، المراوغات، والوعود، والاعترافات، على تباينها. ”لقد منحونا كل شيء ولكن ليس لدينا شيء”. بالفعل لقد ”منحونا” وعودا فقط، مادمننا لانملك سلطة فعلية. لقد اقتربنا من الحرية، وقد اجبرنا الكل على اختلافهم، حتى القيصر على ان يعترف بالحاجة

للحرية. ومانريده على اى حال ليس الاعتراف بهذه الحاجة، وانما بالحرية ذاتها. نحن لانريد قصاصة من ورق تتضمن وعودا بسلطة تشريعية لممثلى الشعب، وانما نريد السيادة الفعلية للشعب. وكلما اقتربنا اكثر من هذه السيادة، كلما اصبح غيابها لايطاق اكثر. وكلما كانت بيانات القيصر اكثر اغواء، كلما بات حكمه بالنسبة لنا لايحتمل.

سيصل الصراع الى منتهاه، وهو الاجابة على سؤال ما اذا كانت السلطة الفعلية ستظل فى يد حكومة القيصر. بالنسبة للاعتراف بالثورة، فقد جرى الاعتراف بها الان بصفة عامة. وقد تم الاعتراف بها منذ زمن طويل من جانب السيد ستروفه وسادة جريدة اسفوبوجدينيه. وقد اعترف بها الان السيد ويتى ونيقولا رومانوف. "اننى اعدكم بأى شئ ترغبون فيه" هكذا يقول القيصر "دعونى فقط احتفظ بالسلطة، دعونى انجز وعودى الخاصة". هذا هو لب بيانات القيصر، وغرضها ان تخدم النضال المقرر. يعلن القيصر "يمكن ان امنحكم كل شئ عدا السلطة" ويجيب الشعب الثورى "كل شئ عدا السلطة وهم".

ان المغزى الحقيقى لتلك البلادة البادية التى وقعت فيها الشؤون الروسية يكمن فى رغبة القيصر فى خداع الشعب وتجنب الثورة بعقد صفقة مع البورجوازية. يبذل القيصر وعودا اعظم للبورجوازية، بأمل ان تتجه الطبقات المالكة، والناس، اخيرا نحو "القانون والنظام". كيفما كان الامر، بينما يتمثل "القانون والنظام" فى تجاوزات ترييوف والمائة السود، فان نداء القيصر يبدو على الاغلب وكأنه صوت صارخ فى البرية. ان القيصر يحتاج كلا من ويتى وترييوف بقدر متساو – ويتى من اجل ان يجتذب البعض. وترييوف من اجل ان يروع البعض الاخر، ويتى من اجل الوعود، وترييوف من اجل العمل، ويتى من اجل البورجوازية، وترييوف من اجل البروليتاريا. يتكشف امام اعيننا مرة اخرى، وعلى مستوى اعلى من التطور فحسب هذه المرة، مشهد يماثل ماشهدناه فى بداية اضرابات موسكو – يقوم الليبراليون بالتفاوض بينما ينهض العمال بالقتال.

لدى ترييوف فهم ممتاز لدوره ومغزاه الفعلى. وربما كان الى حد ما متهورا للغاية قياسا بالديبلوماسى وبتى، ولكنه كان خائفا من ان يتخلف بفعل التطور السريع للثورة. بل انه كان مضطرا لأن يتهور، لأنه يدرك ان القوات التى تحت امرته اخذة فى الضعف.

بالتزامن مع بيانها حول الدستور، بدأت الاوتوقراطية فى اتخاذ خطوات لاعاقه صدور الدستور. لقد شرع المائة السود فى العمل بطريقة لم تشهدا روسيا من قبل. تردنا تقارير عن مجازر، ومذابح، واعمال غير مسبوقه من الوحشية تتدفق من كل انحاء روسيا. ان الارهاب الابيض عنيف. و تقوم الشرطة عندما يكون فى استطاعها بتحريض وتنظيم حثالة المجتمع الرأسمالى لممارسة النهب والعنف، مغرقة نفاية السكان الحضريين بالمشروبات الروحية، ناصبة مذابح لليهود، محرضة على العنف ضد "الطلاب" والمتمردين، مساعدة فى تأديب "اعطاء درس" لأعضاء الزيمستفو (هيئة بلدية - المترجم). تعمل الثورة المضادة بكامل طاقتها. وقد برهن ترييوف على انه جدير بلقمة خبزه. تطلق المدافع الالية نيرانها (فى اوديسا)، وتفقأ الاعين (فى كييف)، و يلقي بالناس من الطوابق العليا الى الشارع، وتؤخذ المنازل عنوة ويطردها من فيها، وتشعل الحرائق ولا يسمح لأحد باطفاءها، وهؤلاء الذين يجروون على ابداء مقاومة للمائة السود يرمون بالرصاص. من بولندا الى سيبيريا، من شواطئ خليج فنلندا الى البحر الاسود - تظهر لنا الصورة نفسها.

ولكن بالتزامن مع انفجار وحشية المائة السود، مع هذا الاحتفال الذى هيأته الاوتوقراطية، هذه التشنجات الاخيرة للوحش القيصرى، فان هناك هجمات غضة تشنها البروليتاريا وهى كالعادة تبدو فقط وكأنها تهدأ بعد كل نهوض فى الحركة. فى الواقع الفعلى، فانها تجمع قواها فحسب وتستعد لتوجيه ضربة حاسمة. ولأسباب سبق ان ذكرناها، فان فظاعات الشرطة فى روسيا قد اكتست طابعا مختلفا تماما عما جرى فى الماضى. توازى انفجارات انتقام القوزاق بانتقام ترييوف، تبين ان

قوة القيصر تتحلل بسرعة. ويمكن ان نلاحظ هذا فى المقاطعات، وفى فنلندا، وفى سانت بطرسبورج، ومن الواضح ان ذلك يتجلى فى الاماكن التى يكون فيها الناس فى ادنى الاوضاع ويبدون اقل تطورا من الناحية السياسية فى المناطق الطرفية ويفتقر المكان الى وجود سكان روس، وكذلك فى العاصمة، التى تعد بأن تكون مسرحا لدراما الثورة العظمى.